محمد رسول الله

تأليف مولوى محمد على

تعريب مصطفى فهمى وعبد الحميد جودة السحار

للأستاذ محمد محمود زيتون

الكاتبون فى السيرة النبوية فى العصر الحديث على ثلاث فرق: فريق خصوم الإسلام من الغربيين، وفريقان من المسلمين أحدهما مقلد والآخر مجدد

أما الخصوم فقد أخذتهم روعة السيرة فعكفوا على دراستها يبتغون إحصاء المآخذ على الإسلام وترويجها فى أوساطهم، وقلما يعترف أحدهم بمواطن العزة والفخار فى تراثنا، لأنهم يخشون انهيار ما يستمسكون به من مبادئ واهية، إذا هى قيست بالصروح العالية التى أقامها الإسلام

وهؤلاء — على خصومتهم الظاهرة — لم يكن بمكنة بعضهم أن يضبط الحق — لأنهم وهم المبشرون بحرية البحث، والمنهج الموضوعى، يخشون أن يتناقضوا مع أنفسهم حين تزل أقلامهم إلى مزالق التعصب الوخيم، ومع ذلك فهم طالما يلبسون الحق بالباطل ابتغاء الفتنة

وهذا الفريق كان — ولا يزال — خطراً على الدعوة للإسلام فى الغرب. حتى لقد وقع فلاسفة القانون ومنهم منتسكيو فى أخطاء جسيمة، نتيجة للاستقراء العاجز، الذى قدمه لهم شركاؤهم فى الإفك والتضليل

والفريق الثانى من كتاب السيرة هم أصحاب المدرسة التقليدية أو بتعبير آخر هم الذين يؤمنون إيمان العجائز يصدقون كل ما ورد فى السير، فلا يفرقون بين الغث والسمين، أو بين الأصيل والدخيل، فجاءوا بموجزات لا يكلفون أنفسهم فيها عناء التحوز، ولا يعمدون إلى البحث وفق منهج خاص، وهؤلاء لا قيامة لهم فى موازين النقد، ولا سيما فى انحدارهم وراء المتواتر من الأنباء غير ملتفتين إلى الإسرائيليات المدسوسة فى السير، والإسلام منها برئ

والفريق الأخير هو المدرسة التجديدية التى أصحابها من المسلمين المثقفين الآخذين من الطريف والتليد على السواء، وهؤلاء هم طلائع الأفيال على تراثنا المجيد الذين سارعوا إلى رد المضللين إلى جادة الصواب فى رفق المؤمن وتؤدة العالم. وهذا الفريق هو الذى يعوز كتيبة الثقافة الإسلامية التى جندت رجالا يحجزون الفتنة فى أقماع السمسم كلما أطلت بقرنها

وهم — لاختلاف مشاربهم الثقافية — يختلفون منهاجا وأسلوبا، ومن هنا تكون الطاقة الثقافية مميزة للواحد منهم عن الآخر، ومن وراء ذلك كله تتوفر لدى القارئ ذخيرة قيمة من المعلومات فضلا عن الأثر الموصول بين المؤلف والمطلع

وفى الرعيل الأول من هذا الفريق مولاى محمد على رئيس الرابطة الأحمدية لإشاعة الإسلام بلاهور مؤلف كتاب «محمد رسول الله» الذى اضطلع بنقله عن الإنجليزية الأستاذان مصطفى فهمى وعبد الحميد السحار

ونحن إذ نقدم هذا الكتاب القيم إلى القراء على صفحات الرسالة الغراء يلزمنا التنويه بفضل المؤلف والمترجمين جميعا

وليس من شك فى أن علماء الباكستان يعلون علوا كبيرا فى مباحثهم الإسلامية التى يعالجون بها على العالم بين الفينة والفينة، وهذا مولاى محمد على يسير فى كتابه هذا فى فلك فريد سواء فى طاقته العلمية أو المنهجية، فهو — على خلاف المؤلفين فى السيرة — يصدر عن ذخيرة وفيرة من الاطلاعات والبراهين، فجاء كتابه هذا ثمرة طيبة لجهود عميق دقيق على سعة فى الأفق، وتسلسل فى الاستدلال، واعتزاز فى الرأى فى غير افتراء، وبشخصية عاملة ناقدة

ويبلغ به الحرص أحيانا على دفع فرية إلى حد الاستباق إلى تكذيب واقعة تاريخية أجمع عليها المؤلفون الأولون فى السيرة، فيتهجم على الواقعة، ويمضى فى الإلحاح على زحزحتها بكافة البراهين المنطقية والأسانيد الصحيحة حتى يخرج من المعركة ظافرا، فيشعر القارئ البرئ بأنه قد نجا من فتنة ووهم وضلال،

ما كان لينجو منها لولا هذا الصراع الفكرى العنيف الذى قام به المؤلف البطل

تابعت المؤلف فى جميع فصول الكتاب ، فوجدته قد نأى بقلمه عن الاستدراكات والاستطرادات التى تعوق من الهدف ، ونشتت الذهن ، وبذلك لم يكن من طائفة المقلدين الذين يقعون فى أخطاء المؤلفين القدامى

ومما حرص عليه مولاى محمد على تجنب كثرة الردود على الخصوم فى ثنايا الفصول ، ولكنه اضطر فى أكثر من مناسبة إلى إزهاق باطل شائع فى أذهان الأوروبيين وهو أن الإسلام لم ينتصر إلا بالسيف ، فكان لا بد من تحيين كل فرصة لدحض هذه الدعوى وإبطالها بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويمتاز أيضا بسعة اطلاع جعلته يعقد مقارنات بين ما ورد فى التوراة والإنجيل وبين ما تحقق منهما من نبوءات بمحمد الرسول الغازى ، ولذا فهو يعمل على تجميع الخطوط الرئيسية حول حادث ما

ولقد تجلت مزاياه الثقافية ، وحجيجه البارعة فى (غزوات النبى) و (دعوى المثلة الكاذبة) و (ومميزات النبى الصالح) . ففى هذه الفصول بنوع خاص ، ارتفع مولاى محمد على عن المستوى العادى فى تحليل الجهاد فى الإسلام ، ونفى نفيا حاسما حوادث اغتيال قيل إن النبى هو الآمر بها ، وأجمعت عليها روايات الثقات ، كما استبعد فكرة (العزل) عن نساء السبى ، وفى هذا كله يصدر عن « ذوق إسلامى » مرهف مؤيد بالمنطق الثابت والسند الصحيح ؛ تبرئة للنبى مما قد يعلق بالوهم من شبهة ، لو تركت قد تنقلب مع التبرير إلى شريعة

وفى الحق أن الأستاذ السحار وزميله قد خدما الثقافة الإسلامية أجل خدمة بترجمتهما هذا الكتاب القيم الذى سد فجوة كبيرا فى المكتبة العربية المعاصرة ، وذلك لاختيارهما فى هذه الترجمة أسلوبا سهلا يتمشى مع سهولة الأداء التى حافظ المؤلف فى هذا الكتاب

ومن دواعى التوفيق إلى هذه الترجمة الدقيقة الرشيقة أن الأستاذ السحار أديب إسلامى مطبوع ؛ فهو مؤلف ومترجم ومؤرخ وناقد وقاص . وله فى كل مجال من ذلك مكان مرموق وهو — بالاشتراك مع محمد فرج — مترجم كتاب « الرسول » لمؤلفه بودلى الذى يعد من الفريق الأول ، ثم إن الأستاذ السحار هو مؤلف هذا الكتاب القيم (المسيح عيسى ابن مريم) الذى نأمل أن نقدمه للقراء قريبا

لقد أفاد السحار حقا من اطلاعه على أمهات كتب السيرة فكان تعاونه مع زميله صادقا ودقيقا فى ترجمتهما كتاب (محمد رسول الله) ومما يجدر بنا التنويه عنه قول النبى يعاتب الأنصار بعد غزوة حنين « أوجدتم يامعشر الأنصار فى العلالة من الدنيا ... ص ١٦٦ وصحتها لعاعة (بفتح اللام والعينين) وذلك كما ورد فى سيرة ابن هشام وسيرة السهيلى ، وهو يفسرها بأنها بقلة خضراء ناعمة . وقد شبه بها زهرة الدنيا وزينتها

على كل حال فإن الاطلاع على الأصول العربية قد مكن من تفادى مواطن الإعراب والتورط فجاءت الترجمة سهلة مستساغة تستحق التهنئة الصادقة ، أما لجنة النشر للجامعيين فقد استفتحت بهذا الكتاب عهدا جديدا من دارها الجديدة (دار مصر للطباعة) فجاء الكتاب فى حجم مقبول اجتمعت فيه عوامل الذوق من طبع وبساطة وإتقان مع هنات مطبعية لا تذكر

محمد محمود زيتون

القطر الجزائرى

للاستاذ كمال دسوقى

لا أعرف كتابا مصورا ظهر فى العصر الحديث للدعاية لقضية وطنية أجل ولا أبلغ فى الدلالة على هذه الدعاية الطيبة من كتاب « القطر الجزائرى » Algérie الذى أصدره مكتب الاستعلامات والوثائق بديوان الحاكم العام الجزائرى ؛ والذى أطرف ما فيه صدوره عن دار بابا على الجزائرية وطبعه بالمطابع البا كونية الجزائرية أيضا

فهذا الكتاب صور حية ناطقة بل هاتفة وصارخة بجمال هذه البلاد وروعة معالمها وآثارها الطبيعية والفنية بما لا يحتاج معه القارئ فى غمرة إعجابه ودهشته إلى بيان من البيانات

المكتوبة معها باللغات الفرنسية والعربية والإنجليزية والإسبانية ؛ فجيوبة الصور ودقة اختيارها وعرضها تنفى عن بيانها وتسترعى النظر والانتباه قبل أن تثير اللغات المكتوبة فضول القراءة

أقول ذلك وقد سبق لى أن زرت أقطارا أوربية كثيرة فطوفت بأشهر مدنها وألممت بصور دعاياتها التى توزعها متفرقة أو فى كتالوجات ونشرات ؛ عجبانا وبالثمن ... فحتى فرنسا ذاتها — التى هى أكثر الدول الأوربية اهتماما باستخراج صور جذابة لمعالم القرى والربوع المختلفة فيها لا أستطيع أن أقول إنى عثرت فيها على مجلد كهذا .. على أنه لا غرو أن تبز الجزائر هذه الدولة فى إتقان الدعاية لنفسها ! فإنها تحتاج من هذه الناحية لما قد لا تحتاجه تلك الدول التى لا تدعو لقضية استقلال بل تدعو للسياحة ! وإليك البيان :

الكتاب مقسم إلى فصول تتصدرها عنواناتها بالفرنسية ، وتعلو هذه العنوانات رسوم تخطيطية بارعة ترمز لمدلول محتوياتها ، وهذه الفصول مرتبة ترتيبا منطقيا بحيث تتناول أولا : البلدة بمعالمها الجغرافية : شواطئها وصخورها ، وسهولها ووديانها ، جبالها ووهادها وكثبانها ، وجناتها الزراعية وحيوانها ...

ثم يأتى القسم الثانى فى أهل البلاد وسكانها ؛ وهنا تدرس بالصور كثرة سكان مدينة الجزائر البالغين ٤٥٠ ألف نسمة كما تدرس أزياؤهم شيوخا وشبانا — أطفالا ونساء ؛ وموظفين وأجانب ، أعرابا ورعاة وغير ذلك من جنود وواقصين وموسيقيين وحراس ووجال دين ... لوحات رائعة معظمها من المتحف الوطنى للفنون الجميلة بالجزائر .

أما حياة السكان فلها قسم خاص بعد ذلك . وهنا مقارنة طريفة بين الجزائر القديمة والجزائر الحديثة بمآذنها الشاهقة وشوارعها الكبيرة وأحيائها الجديدة وفيلاتها الحديثة والعربية الطراز والميناء والمحطة التجارية ... ومدن قسطنطينة وسكيكدة وغارداية ... فأهم منشآت المدينة الجزائرية من مساكن الحال إلى مستشفيات ودور إسعاف ومراكز نقل الدم — إلى مدارس ومراكز للحياة الإدارية (دار الحكومة) والنيابة (المجلس الجزائرى) فمساجد وكنائس وأضرحة ومقاهى ... مظاهر تدعو للإعجاب بحضارة هذه البلاد المادية ورقيها وتقدمها .

وتقوم اقتصاديات هذه البلاد وأعمال أهلها فى المقام الأول على الزراعة ؛ زراعة الحبوب فالكروم والموالح والتمر (النخيل) والتين (الذى هو ثالث صادرات البلاد فى الأهمية) والزيتون ... التى يتقدم إنتاجها بفعل الآلات الحديثة وتقوم عليها صناعات المصير والتجفيف لما يتبقى من الاستهلاك والتصدير .

وفى البلاد جهود للتحسين القروى والتدريب الزراعى واختزان الحبوب للاحتياط بواسطة هيئات وجميات ومصالح تعمل على مغالبة الطبيعة والانتفاع بمواردها من تربة وخزانات ومساقط (متحدرات) ومسيلات وآبار لرى النخيل حيث لا يوجد الماء . كما تقوم بها مشروعات للطاقة الكهربائية وتوليدها والطاقة القروية مما يضاعف فى تقدم البلاد الصناعى — إذ توجد فعلا مصانع هائلة للخزف والسيلولوز والزجاج ومصانع النسيج اليدوية والميكانيكية وعصير البرتقال والفواكه المجففة ... كما أن من الثروات الاقتصادية الهامة عدا صيد الأسماك الحديد والفحم والفوسفات التى يتقدم استخراجها تقدماً كبيراً ... عدا صناعات محلية وبدوية مختلفة يحترفها الأهلون

وميناء الجزائر أهم مرافئ التبادل التجارى الجزائرى . وإلى جانبه يوجد موانى وهران وعنابة (بون) وسكيكدة (فيليبفل) وأرزيو بأرصفتها ومراسيها واستعدادات التفريغ والشحن والتصدير والاستيراد الهائلة . أما فى الداخل فتوجد شبكة من الطرق الزراعية والصحراوية المعبدة التى تجتازها السيارات العامة الحديثة وسيارات النقل و (التاكسيات) ، وشبكة من السكك الحديدية للقطارات السريعة ذات القاطرات الكهربائية التى تشق البلاد بين المدن والقرى وعبر الجسور الحديثة الفولاذية فوق الوديان ؛ كما توجد مطارات أهمها المزون بلانش والمطار الصحراوى بورقلة Ouargla

والبلاد غنية بآثارها الرومانية والفينيقية والإسلامية فى مختلف القرى القائمة أو المهجورة ، ولذا نجد متحف الإثنوجرافيا وما قبل التاريخ يعرض فى روعته ومحتوياته نماذج كثيرة من هذه الفنون إلى جانب ما يعرضه المتحف الوطنى للفنون الجميلة من